

علم النحو تاريخ النشأة وأشهر النحاة

هند

جامعة شيخنا محمد خليل بنكالان مدورا

hindun.elhuseiny@gmail.com

ملخص البحث

إن علم النحو من أسمى العلوم قدرا وأنفعها أثرا. ولها علاقة وارتباط متين بتعلم مهارات اللغة العربية. ولتسهيل تعلم علم النحو وفهمها دون صعوبة كبيرة هو بمعرفة وتعلم تاريخها. فعندما قد درس الطالب تاريخها فيسهل له العلم الثقيل وتخف عليه القواعد الكثيرة. فمن هذه الناحية حاولت الباحثة في توضيح تاريخ علم النحو وما يحول حول ماهية علم النحو وسبب نشأته ووضعه وشرح بسيط عن نشأة علم النحو و تاريخ أشهر النحاة.

والمدخل المتبع هو المدخل الوصفي التحليلي وأهم نتائج البحث هي: أولا سبب نشأة علم النحو هو انتشار اللحن والخطأ في النطق عامة ونطق القران خاصة، ثانيا نشأة النحو أربعة أطوار، ثالثا المذهبين المشهورين هي الكوفة والبصرة.

الكلمة المفتاحية: علم النحو، تاريخ، النشأة

ABSTRACT

The science of grammar is one of the highest sciences and the most beneficial. It has a strong relationship and connection to learning Arabic language skills. To make it easier to learn and understand grammar without much difficulty is to know and learn its history. When a student has studied its history, it becomes easier for him to learn hard and many rules are hidden for him. From this point of view, the researcher tried to clarify the history of grammar and what transforms what grammar is, the reason for its inception, its setting, and a simple explanation of the emergence of grammar and the history of the most famous grammarians.

The approach followed is the descriptive and analytical approach and the most important results of the research are: First, the reason for the emergence of grammar is the spread of melody and errors in pronunciation in general and the pronunciation of the Qur'an in particular, secondly the emergence of grammar is four phases, thirdly the two famous doctrines are Kufa and Basra

Keywords: Syntax, history, emergence

المقدمة

نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها منذ ولدت، نقية سليمة مما يشيها من أدران اللغات الأخرى. كان العرب منذ الجاهلية و قبل دخول الاسلام مشهور بالثقافة و الادب، ولقد كان مفوهو الشعراء من القبائل المتناثية الأصقاع يعرضون في الاسواق مفاخراتهم و منافراتهم و معازماتهم و كل ما يعن لهم في جيد الخطب و بديع الشعر.

بقيت اللغة متماسكة البيان غير مشوبة بلوثة الأعجام، إلى أن سطع نور الإسلام على ما حول الجزيرة العربية بالفتوحات الاسلامية، و دخل الناس في دين الله أفواجاً، ثم تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين حتى إنتشر الاسلام في جميع أنحاء العالم، كانت تخفق عليها الراية الاسلامية التي تأخى تحت ظلها الجميع - الاحمر و الاسود - وما كان بينهم فوارق الجنس و الوطن، دينهم الاسلام، و كتابهم القرآن، و لغتهم اللعربية، و كان أثرا لهذه الفتوحات من لدن كانت أن اختلط العرب بغيرهم إختلاطا مستمرا في البيوت و الاسواق و المناسك و المساجد، و تصاهرو و اندمج بعضهم في بعض، حتى تكون منهم شعب واحد، اجتمع فيه الصريح و المهجين و المقرف و العبد، و اقتضى كل أولئك أن يستمع بعضهم من بعض و أن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم، و لغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم هي العربية، فكان لزاما.

إن علم النحو هو جزء أو احدى علوم اللغة العربية التي تهدف للوقاية من الخطاء في النطق و الكتابة. العلوم العربية كلها ثلاثة عشر علما بناء على مقدمة كتاب " جامع الدروس العربية" تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني و هي: النحو و الصرف و العروض و القوافي و متن اللغة و قرص الشعر و الإنشاء و خط و البيان و المعاني و الخطابة و البديع و تاريخ الأدب. و يعد النحو أعلى هذه العلوم مرتبة فبدونه لا يصح الشعر و لا الغريب و لا القران، فهو ميزان كله.

و الغرض من هذا البحث هو الفهم و التعرف عن تاريخ النحو العربي و تطرق الكاتب إلى ظهور اللحن و انتشاره، و نشأة النحو و زمانها و مكانها، و أول ما وضع و من وضعه، و

مبتدأ تسميته بالنحو و تطوره، و المذهبين و بعض مسائل الخلاف بينهما، و عن النحو في أندونيسيا.

أ. ماهية النحو

النحو هو علمٌ يبحث في أصول تكوين الجملة و قواعد الإعراب. فهدف علم النحو أن يحدد أساليب تكوين الجمل و مواضع الكلمات و وظيفتها فيها كما يحدد الخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع أو الحركة أو مكانها في الجملة، سواءً أكانت خصائص نحوية كالابتداء و الفاعلية و المفعولية أم أحكاماً نحوية كالتقديم و التأخير و الإعراب و البناء.

قال ابن جني في كتابه الخصائص: "النحو هو انتحاء سمّت كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره: كالتثنية، و الجمع، و التحقير و التكريس و الإضافة و النسب، و التركيب، و غير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها و إن لم يكن منهم، و إن شدد بعضهم عنها رُددَ به إليها. و هو في الأصل مصدرٌ شائع، أي نحوثُ نحواً، كقولك قصدتُ قصداً، فالنحو عند ابن جني على هذا هو: محاكاة العرب في طريقة كلامهم تجنباً للحن وتمكيناً للمستعرب من أن يكون كالعربي في فصاحته و سلامة لغته عند الكلام.

ب. نشأة النحو

نطق العرب في الجاهلية و صدر الاسلام بلغتهم سليقة و سجية، و لم يكونوا في حاجة إلى قواعد يضبطون بها اللسان أو يتعرفون بها الأساليب، بل كان عمادهم في ذلك المحاكاة المبنية على الفطرة السليمة، يشب الناشء منهم فتملاً العبارات الصحيحة سمعه و يُطبعُ بها لسانه، فتجود قريحته بسليم التراكيب و منسجم العبارات.

و لما اتسع ملك العرب و ترامت أطرافه و ازداد اختلاط العرب بغيرهم من العناصر غير العربية، و دخل الاعاجم تحت لواء المملكة الاسلامية، نشأ عن هذا ما هو معلوم من تفشي اللحن، فخشي القوام على اللغة و من يغارون عليها أن يستفحل الخطب و يصيب اللغة أصولها ما يذهب بمقوماتها و يضعف شأنها، ففكروا في وضع قواعد تصون اللسان،

فقام أبو الأسود الدؤلي المتوفي في سنة ٦٩ هـ و أخذ صبغا يخالف لون المداد الذي كتب به المصحف و وضع به علامات الشكل و جعلها نقطة فوق الحرف للفتحة و نقطة تحت الحرف للكسرة و نقطة بين يدي الحرف للضمة، و جعل للمنون نقطتين، و ترك الساكن، و وضع الخطة في ذلك ثم أمر الكتّاب أن يسيرو على هذا النمط حتى أتم المصحف.

ج. أسباب نشأة علم النحو

تتلخص أسباب نشأة علم النحو في سبب واحد، وهو إنتشار اللحن و الخطاء و مجانية الصواب في نطق عامة و نطق القرآن الكريم خاصة، و قراءاته، و خاصة بعد دخول غير العرب في الاسلام و رغبتهم في تعلم اللغة العربية لتأدية الصلاة و قراءة القرآن.^١ ولم يكن العرب - قبل الاسلام أو بعده - في حاجة إليه، لأنهم كانوا ينطقون النطق الصحيح بالفطرة السليمة و السليقة النقية. فلما اتسعت الدولة الاسلامية و اختلط غير العرب بالعرب فسدت الألسنة، و شاع اللحن، و كان قليلا صغيرا أيام الرسول و الخلفاء الراشدين، ثم نما و كبر و انتشر بانتشار الاسلام و اتساع الدولة الاسلامية أيام خلافة الامويين و العباسيين.^٢

ولذلك كان الهدف الرئيس لظهور علم النحو وتطوره، هو المحافظة على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وصيانتها من اللحن الذي أخذ يشيع في اللغة، وقراءة القرآن بشكل خاص. بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وكثر عدد الناطقين بالعربية. فكان من الضروري وضع الضوابط اللازمة للقراءة الصحيحة للمولدين، وغيرهم من المستعربين، الذين وجدوا أنفسهم بين العرب. لأن اللحن إنما ظهر بشكل كبير في كلام الموالي والمتعربين منذ عهد النبي (ص).

بالإضافة إلى هذا، هناك أسباب أخرى عجلت بظهور علم النحو، تمثل في اعتزاز العربي بلغته وتراثه، وحرصه عليهما، مما قد يفسدهما ويؤثر فيهما. وهذا ما يعكس كون النحو العربي نشأ في جو إسلامي خالص، بعيدا عن المؤثرات الخارجية. فتصاحبت

^١ علي محمد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الآن، ط الثانية (القاهرة: جامعة الازهر ٢٠٠٣) ص ٨
^٢ المرجع السابق ص ٩

الدراسة النحوية منذ البداية، بمجموعة من العلوم الشرعية، وخاصة علم القراءات القرآنية وعلم التفسير، وغيرهما من العلوم الشرعية كعلم أصول الفقه والحديث وغير ذلك.

د. زمان وضع النحو و مكانه

ذهب أحمد بن فارس المتوفي في سنة ٣٩٥ هـ في أوائل كتابه "الصاحبي" إلى أن العرب قيل للإسلام كانوا يتأملون مواقع الكلام و أن كلامهم ليس مجرد استرسال و سليقة بل كان عن خبرة بقانون العربية، لذلك فإن النحو قديم فيهم و لكن الأيام أبلته ثم جدده الإسلام على يد أبو الأسود بإرشاد علي بن أبي طالب، بل لقد غلا ابن فارس غلوًا شديدًا فنسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو بتوقيف من قبلهم حتى انتهى الأمر إلى الموقف الأول وهو الله الذي علم آدم الاسماء كلها.

و التحقيق الذي عوّل عليه الجمهور وهو الراجح أن علم النحو قد وضع في الصدر الاول للإسلام لأنه لم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه لأنهم كانوا حينذاك ينطقون عن سليقة جبلوا عليها، في حين أنهم بعد الإسلام اختلطوا بالفرس و الروم فحل بلغتهم من اللحن ما جعلهم يهرعون إلى وضع النحو.^٣

أما مكان وضع النحو ففي العراق، لأنه كان موطنًا لحضارات قديمة و علوم و معارف سابقة، و لأنه يقع على حدود البادية، و لأنه ملتقى العرب و غيرهم توطنه الجميع لرخاء الحياة فيها أدى إلى أن يصبح أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن الداعي إلى وضع النحو في حين لم يكن لعرب الجزيرة حاجة لهذا العلم لأن لغتهم ما برحت فصيحة.

هـ. أول ما وضع من أبواب النحو

اختلف العلماء في أول ما وضع من أبواب النحو على رأيين:

١. ذهب الجمهور إلى أن ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمرّ الوضع بعد ذلك على النمط نفسه، ولأنّ هناك روايات كثيرة فيما وقع اللحن فيه فإنّ تعيين الباب الموضوع أولًا منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات، وسنفضّل القول في هذا بعد قليل.

^٣ عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص ٢٦-٢٧

٢. وذهب بعض العلماء إلى أنّ أوّل ما وضع من أبواب النحو ما كثر دور انه على اللسان, وذلك على الرغم من أنّ الفكر و الاستنباط كانا متجهين انذاك إلى إستخراج القواعد من الكلام لداعي اللحن على وجه العموم بصرف النظر عن قرب ذلك أو بعده من الجاري بكثرة على الألسنة, وبهذا يكون الموضوع أولاً من أبواب النحو ما كثر جريان اللسان به ثم ما يليه وهكذا, ولذا قالوا إنّ الموضوع أولاً الفاعل ثم المفعول به ثم المبتدأ والخبر وهكذا.^٤

و. واضع النحو

اختلف العلماء في واضع النحو بين عليّ بن أبي طالب و أبي الأسود الدؤلي, قال الأنباري المتوفي في سنة ٥٧٧ هـ في كتاب ((نزهة الأبناء)): أول من وضع علم العربيّه و أسس قواعده و حدّد حدوده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام و أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي, وسبب وضع عليّ لهذا العلم ماروى أبو الأسود قال: دخلت عليّ أمير المؤمنين عليّ فوجدت في يده رقعة, فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه و يعتمدون عليه, ثم ألقى إليّ الرقعة و فيها مكتوب: الكلام كلّ اسم و فعل و حرف, فالاسم ما أنبأ عن المسمّى, والفعل ما انبأ به و الحرف ما جاء لمعنى, وقال لي: أنح هذا النحو و أضف إليه ما وقع إليك, و اعلم يا ابا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر و مضمّر و اسم لا ظاهر و لامضمّر, و إنّما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيها ليس بظاهر و لا مضمّر و أراد بذلك الاسم المبهم, قال أبو الأسود: ثم وضعتُ بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب و الاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إنّ و أخواتها ما خلا لكن, فلمّا عرضتها على الامام عليّ أمرني بضمّ لكن إليها و كنتُ كلّما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية, قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت, فلذلك سمّي النحو نحواً

^٤ عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص ٢٧

وروي أن سبب وضع عليّ لهذا العلم أنّه سمع أعرابياً يقرأ: لا يأكله إلا الخاطئين، فوضع النحو.^٥

ز. تسميته بالنحو و سبب تسميته

روت كتب الأدب و التراجم على سبيل اليقين أن هذا العلم كان يسمى بالعربية في عصر أبي الأسود ، قال بن سلام في الطبقات: " و كان أول من استن العربية، و فتح بابها، و أنهج سبيلها، و وضع قياسها، أبو الاسود الدؤلي"، فالتسمية بالنحو بعد عصره.^٦ و سبب تسميته بالنحو - كما ذكرنا - أن أبا الأسود بعد أن وضع شيئاً في النحو عاد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأقره عليه و قال: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوته فأثر العلماء تسميته بهذه الكلمة المروية عن الإمام علي. و النحو: القصد، يقال نحوت نحوه أي قصدت قصده وهو الطريق و الجهة فملتكم به إنما يقصد الكلام الصحيح و يسير في الطريق السليم.

و في الاصطلاح: علم يعرف به أواخر الكلم إعراباً و بناءً.

و النحوى: العلم بالنحو و جمعه نحويون و يقال له الناحي أيضاً و جمعه نحاة. كداع و دعاة.^٧

ح. نشأة النحو و المذهبين البصري و الكوفي " أطوار النحو الاربعة "

روى لنا التاريخ أن البصريين - بعد أبي الأسود الدؤلي - هم الذين أسسوا قواعد النحو الأولى و تعهدوا و راعوه وهو نبت صغير، و ظل في البصرة وحدها ما يقرب من مائة سنة من الزمان، كان فيها الكوفيون منصرفين إلى الأشعار و حفظها و رواية الاخبار و تناقلها و نوادرها. ثم تكاتف الفريقان من البصرة و الكوفة على استكمال قواعد و نشأة بينهما التنافس و الصراع لمن تكون الغلبة و تكميل ما نقص منه وما فات من المتقدمين. و ظل كذلك ما يزيد على مائة سنة أخرى، ظهر في أثنائها المذهب الكوفي الذي أخذ يناهض المذهب البصري وحبب إلى أعلامه الاختلاف و المخالفة لأعلام النحو في

^٥ عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص ٢٧-٢٨

^٦ محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، ط الثالثة (القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٥) ص ٣٢-٣٣

^٧ علي محمد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الان، ط الثانية (القاهرة: جامعة الازهر ٢٠٠٣) ص ١١

البصرة، فوجد للنحو مذهباً: البصري و مقره مدينة البصرة في جنوب العراق و في أقصى الشمال الشرقي من أطراف شبه الجزيرة العربية، و المذهب الكوفي و مقره مدينة الكوفة التي تقع في الجنوب من بلاد العراق و في الشمال من الجزيرة العربية. وبعد موت أعلام المذهبين و رجالهما الأول و رؤسائهما السابقين هاجر الفريقان إلى بغداد و التأم عقدهما فيها فنشأ المذهب البغدادي الذي كان عماده الترجيح بين الفريقين.

و بناء على ما سبق في البصرة و الكوفة و بغداد و مدن النحو الأخرى و تنافس العلماء في تلك المدن على هذا العلم الذي يضبط اللسان العربي و يحتاج إليه كل مسلم، قسم المؤرخون تاريخ النحو في الحقب السابقة إلى أطوار الأربعة:

الطور الأول : طور الوضع و التكوين. و هذا إختصت به البصرة وحدها.
الطور الثاني : طور النشوء و النمو. و كان مزيجاً من البصريين و الكوفيين
الطور الثالث: طور النضوج و الكمال. و كان مزيجاً أيضاً من أعلام المدرستين السابقتين.

الطور الرابع : طور الترجيح و البسط في التصنيف. وقد اشترك فيه أعلام المدارس التي ظهرت بعد البصرة و الكوفة وهي مدارس بغداد و الاندلس و مصر والشام.^٨

ط. خصائص كل من المذهبين البصري و الكوفي

الأول: مذهب البصريين التشدد و مذهب الكوفيين التيسير.
الثاني: مذهب البصريين مذهب السماع و مذهب الكوفيين مذهب القياس.
الثالث: مذهب البصريين مذهب الكثيرة الفياضة من المسموع لإقامة القواعد، و مذهب الكوفيين البيت الواحد كاف لإقامة القاعدة.
الرابع: مذهب البصريين الثقة برواية المسموع و مذهب الكوفيين التساهل في ذلك.
الخامس: مذهب البصريين مذهب العرب الخالص و مذهب الكوفيين غير ذلك.

^٨ علي محمد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الآن، ط الثانية (القاهرة: جامعة الأزهر ٢٠٠٣) ص ١٢-١٤

السادس: مذهب البصريين مذهب التأويلات و الضرورات و الشذوذ و الانكار و مذهب الكوفيين إنعدام ذلك كله أو قتله.^٩

ي. بعض مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين

سارت كل من المدرستين في طريقها، و لذا لكل منهما الاختلاف و كان الاختلاف صار أصلا و الاتفاق صار أمرا آخر.

اختلفوا في أسماء الابواب فالبصريون يقولون: هذا باب الضمير و الكوفيون يقولون: هذا باب الكناية، و الاولون يقولون: باب حُرْف الجر و الآخرون يقولون باب حروف الاضافة، و الاولون يقولون ضمير الشأن و الآخرون ضمير المجهول و هكذا. و أكثر منه الاختلاف في المسائل العلمية. وهي:

١. قسم البصريون الفعل إلى ثلاثة: ماض و مضارع و أمر و لكن الكوفيون جعلوه قسمين فقط: ماض و مضارع أما الأمر فهو مقتطع من المضارع و ان أصل قم لتقم حذف لام الأمر و تبعها حرف المضارعة وعلى ذلك فالأمر عندهم مضارع مجزوم بالام المقدرة.

٢. ذهب البصريون - أو بعضهم - إلى ان عامل الرفع في المبتدأ معنوي هو الابتداء و عامل الرفع في الخبر لفظي وهو المبتدأ، و ذهب الكوفيون إلى ان المبتدأ عمل الرفع في الخبر و الخبر عمل الرفع في المبتدأ.

٣. ذهب البصريين إلى أن الاسم بعد لولا يعرب مبتدأ و خبره محذوف كقوله تعالى: "لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ" ، و كقولك : لولا زيد لأكرمتك لأن لولا لا تختص بفعل ولا بإسم، و ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مرفوع بلولا وهي نائبة عن الفعل الذي تقديره : لولم يمنعني زيد لأكرمتك فحذف الفعل و نابت عنه (لا) و صارت كلمة واحدة مع لو (لولا).

٤. ذهب البصريون إلى أن نعم و بئس فعلان ماضيان و ما بعدها فاعل كقوله تعالى: "نعم العبد" (أيوب)، و ذهب الكوفيون إلى أنهما إسمان مبتدآن و ما بعدها خبر.

^٩ علي محمد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الآن، ط الثانية (القاهرة: جامعة الأزهر ٢٠٠٣) ص ٢٩-٣٣

٥. ذهب البصريون إلى أن ما الحجازية ترفع الاسم و تنصب الخبر كقوله تعالى: " مَا هَذَا بَشَرًا " ، وذهب الكوفيون إلى أن ما لا تعمل في الخبر بل هو منصوب على نزع الخافض.
٦. ذهب البصريون إلى المنادي المفرد العلم مبني على الضم في محل نصب كقوله تعالى: " يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا " ، و ذهب الكوفيون إلى أنه مرفوع بالضمه فهو معرب و ليس مبنيا.
٧. ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز توكيد النكرة توكيدا معنويا فلا يجوز: صمت شهرا كله ، و ذهب الكوفيون إلى جوازه بشرط أن تكون النكرة محدودة كالمثال السابق: أما صمت زمنا كله فلا يجوز.
٨. ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الضمير المتصل المرفوع إلا بعد توكيده بمنفصل كقوله تعالى: " اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ " ، و ذهب الكوفيون إلى جواز العطف دون توكيد تقول : أذاكر و زيد.
٩. ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بعد إعادة حرف الجر كقوله تعالى: " وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ " ، وذهب الكوفيون إلى جواز العطف دون إعادة الجار تقول مررت بك و زيد.
١٠. ذهب البصريون إلى أن الفعل المنصوب بعد حتى منصوب بأن مضمرة وجوبا كقوله تعالى: " لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهَا مُوسَى " ، و ذهب الكوفيون إلى أن الناصب للمضارع حتى نفسها لا أن بعدها مقدرة.^{١٠}

ك. المذهب البغدادي

أصبحت بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري و مطلع القرن الرابع كعبة للعلماء و مهبطا للدارسين و المتقنين. و زحف علماء النحو من البصرة و الكوفة كما زحف غيرهم. ثم جمعت بغداد بين العلماء فنسوا البصرة و الكوفة أو تناسوها، و اتحد الجميع أو وحد

^{١٠} علي محمد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الآن، ط الثانية (القاهرة: جامعة الأزهر ٢٠٠٣) ص ٣٦-٣٨

بينهم المكان و الزمان على أن يؤلفوا مذهبا جديدا أصوله من المذهبين السابقين يسمى المذهب البغدادي.

جاء البغداديون فوجدوا أمامهم تراثا هائلا في النحو و الصرف من المذهبين السابقين فما عليهم إلا أن يكونوا من هذا الذي وجدوه ثم يضيفون إليه الجديد الذي لديهم فيفصلون و يعللون و يسطون و يقسمون حتى سمي هذا الطور في النحو بطور الترجيح و البسط في التصنيف.

ل. أمثلة لأراء البغداديين الخاصة :

١. العبرة في التدمير والتأنيث في العداد عند البصريين والكوفيين بحال المعدود المفرد لا المعدود الجمع ، فيقال ثلاثة سجلات واربعة اصطبلات ، خلافا للبغداديين فإنهم يعتبرون لفظ الجمع فيقولون ثلاثة سجلات وأربع اصطبلات بغير هاء^{١١} التأنيث في العدد وان كان المفرد^{١٢} مذكرا.

٢. القاعدة عند البصريين والكوفيين هي ان تبدل الهمزة الثانية الساكنة حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى فنقول في الفعل المضارع الخاص بالمتكلم الذي نصوغه من الإزار والأمانة اتزر بدلا من أأزر، وأتمن بدلا من أأتمن، والبغداديون يجيزون قلب الهمزة الثانية تاء وإذغامها في تاء الإفتعال فيقولون أأزر وأأتمن.

٣. إسم لا النافية للجنس اذا كان شبيها بالمضاف يكون عند البصريين والكوفيين والبغداديين معربا - ومنونا فيقال (لا طالع جبلا موجود) واجاز البغداديون الاعراب بالنصب لكن مع عدم التنوين فقالوا (لا طالع جبل)، قاسوه واجروه في عدم تنوينه مجرى المضاف الواقع اسما للا نافية للجنس لشبهه به كما أُجري الشبيه بالمضاف مجرى المضاف في الاعراب بالنصب، وعلى مذهب البغداديين في النصب بدون التنوين يتخرج ويعرب الحديث (لا منع لما اعطيت ولا معطي لما منعت)، هذا

^{١١} اي تاء التأنيث

ويجوز عند البغداديين أيضا تبعا للبصريين والكوفيين (لا مانعا لما اعطيت ولا معطيا لما منعت).^{١٣}

م. المذهب الأندلسي

قد عاش النحو في الأندلس ما يقرب من أربعة قرون طويلة و لكنها لم تكن كلها متشابهة ضعفا و قوة، و إنما مر النحو فيها بمراحل و أطوار كان في أولها صغبرًا متعثرا، ثم نما و ازدهر و أینعت ثماره بعد ذلك.

و قد قسمت تلك الأطوار إلى ثلاثة كان الأساس فيها مدى استقلال أعلام هذا المذهب بالتأليف و التصنيف أو مدى اتكالمهم و اعتمادهم على علمائ الشرق في ذلك و في تعلمهم النحو و وقوفهم عليه. و هذه هي الأطوار:

الأول: طور الاعتماد على المشاركة في التعليم.

الثاني: طور الاعتماد على المشاركة في التأليف و التصنيف.

الثالث: طور الاستقلال في التأليف و التصنيف.

ن. أمثلة من مذهب الأندلسيين والمغاربة :

١. إن النافية : أجاز إعمالها عمل ليس الكسائي وأكثر الكوفيين ، والمبرد البصري ، وابن

السراج والفارسي وابن جني البغداديون ، وابن مالك و ابو حيان الأندلسيان ، ومنع

اعمالها أكثر البصريين ومنهم سيويوه ، والفراء الكوفي ، وأكثر المغاربة .

٢. اصل مهما الشرطية (ماما) الأولى شرطية والثاني زائدة فنقل اجتماعهما فأبدلت

الالف الأولى هاء ، هذا مذهب البصريين ، وعند الكوفيين اصلها (مه) اي اسم

فعل امر بمعنى أكفف ، ثم زيدت عليها (ما) فحدث بالتركيب معنى لم يكن وهو

الشرط ، وقيل : إنها بسبب سيطرة وهو المختار ، قاله ابو حيان الألسي ، لأنه لم يكف

على التركيب دليل .

٣. تمييز المقدار : اذا كان المقدار مخلطا من جنسين ، قال الفراء الكوفي : لا يجوز عطف

احدهما على الاخر بل تقول عندي رطل سمننا عسلاً ، إذا اردت عندك من السمن

^{١٣} عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص١٣٣-ص١٣٤

والعسل مقدار رطل ، لأن تفسير الرطل ليس للسمن وحده ولا للعسل وحده ، وإنما تفسير الرطل أي تمييزه مجموعهما ، فجعل (سمنًا عسلاً) اسماً واحداً للمجموع على حد قولهم : هذا (حلو حامض) وذهب غيره من النحاة الكوفيين والبصريين إلى وجوب العطف بالواو ، لأن الواو الجامعة تصير ما قبلها وما بعدها بمنزلة شئ واحد ، وقال بعض المغاربة الامران سائغان العطف وتركه .

٤ . تعدد الخبر لمبتدأ واحد: اختلف في جواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد على أقوال أحدها : وهو الاصح وعليه الجمهور الجواز كما يجوز التعدد في النعوت لمنعوت واحد باتفاق النحاة، سواء اقترن الخبر المتعدد بعاطف فكان كل واحد خبراً في المعنى كقولك زيد فقيه وشاعر وكاتب، فالواو العاطفة تصير ما قبلها وما بعدها بمنزلة شئ واحد، او لم يقترن الخبر المتعدد بعاطف فكان كل واحد خبراً مستقلاً مباشراً كقوله تعالى : وهو الغفور الودود ذوالعرش المجيد فعال لما يريد. والثاني : المنع واختاره ابن عصفور الاندلسي وكثير من المغاربة، وعلى هذا فما ورد من ذلك كالمثال والايات جعل فيه عندهم الاول والباقي معطوف على الخبر في المثال اوصفة للخبر في الايات، ومن الأندلسيين والمغاربة من يجعل الباقي في المثال والأيات خبر مبتدأ مقدر ويصح العطف في المثال عطف جمل ، اما في الأيات فكل جملة مستأنفة . الثالث الجملة ، فالأول كالمثال والأيات ، والثاني نحو : زيد ابوه قائم أخوه خارج ، ومنع تعدد الخبر إن كان احدهما مفرداً والآخر جملة . الرابع قصر جواز تعدد الخبر لفظاً على ما كان معنى فيه واحداً نحو : الرمان حلو حامض ، أي مَرّ ، وزيد أعسر ، أيسر ، أي أضبط ، وهو الذي يعمل بكلتا يديه ، وهذا النوع يجب فيه عند أهل المذهب الرابع ترك العطف ، وتعد (حلو حامد) و(أعسر) أيسر) كلمة واحدة تعرب خبراً لأن معناها واحد ، وجوّز ابو عليّ الفارسي النحوي البغدادي استعمال هذا النوع بال عطف كغيره من الأخبار المفردة فأجاز : الرمان حُلُوٌّ وحامضٌ ، وزيد أعسر وأيسر.^{١٤}

^{١٤} عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص١٤٤-ص١٤٦

س. المذهب المصري الشامي

فتح عمرو بن العاص مصر سنة (٢٠هـ) في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، و أصبحت مصر ولاية إسلامية ، و خضعت بعد ذلك لحكم الأمويين في دمشق ثم العباسيين في بغداد.

وقد مر النحو بمصر في هذه الحقبة الطويلة من ظهوره فيها حتى الان بأطوار مختلفة و عصور تفاوتت ضعفا و قوة و ركودا و نشوطا و العصور الطويلة قسمت إلى أربع و هي:

- العصر الأول: عصر البدء و التكوين (عصر النشأة).
- العصر الثاني: عصر التأليف و التصنيف (العصر الذهبي).
- العصر الثالث: عصر الحواشي و التعليقات (عصر الضعف العام).
- العصر الرابع: عصر الدراسات و التحقيقات و التيسيرات (عصر النهضة).

ع. أمثلة على الدرس النحوي في المدرسة المصرية:

١. ذهب أبي العباس بن ولاد تبعا للزجاج البغدادي إلى جواز أن تدخل لام الابتداء على معمول الخبر المقدم عليه إذا كان هذا المعمول مفعولا به للخبر نحو (إن زيدا لطعامك اكل).

٢. ذهب أبي جعفر النحاس مع الكوفيين إلى أن فعل الامر معرب مجزوم لا مبني كما قال بذلك البصريون.

٣. ذهب الحوفي إلى أن الباء لها متعلق في قوله تعالى: “أليس الله بأحكم الحاكمين” ، مخالفا في ذلك رأي النحاة في أنها حرف جر زائد ، و حروف الزيادة لا متعلق لها.^{١٥}

ف. المؤلفات النحو

إن القواعد النحوية هي نتيجة لجهود متماسكة متلاحقة بذلتها طبقات النحاة- البصريين والكوفيين خاصة- التي بدأت بأبي الأسود الدؤلي المتوفى في سنة ٩٦هـ وانتهت بطبقة الثعلب الكوفي المتوفى في سنة ٢٦١هـ والمبرد البصري المتوفى في سنة ٢٨٥هـ ،

^{١٥} عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص ١٨١

وكانت جهود هذه الطبقات متدرجة يكمل بعضها بعضا ، فمن علمائها من علل النحو ، ومنهم من وضع أسس القياس فيه ، ومنهم من بدأ المراحل الأولى من التأليف ، ومنهم من تولى الشرح والتكميل والتهديب حتى وصل علم النحو غلى صورته الكاملة في نحو قرنين ونصف قرن من الزمان .

وقد بدأ التأليف في الطبقة الثانية البصرية ، واستمر ي تدرج في أشكال متعددة وبأساليب مختلفة ، ولو كانت جميع هذه المؤلفات في شتى اوضاعها بين ايدينا الآن لاستطعنا أن نعرف تدرج التأليف النحويّ على وجه دقيق ، ولكن كثيرا منها قد ضاع بما توالى من أحداث الزمن ، وكان الضياع نصيب أول المؤلفات في هذا العلم ، وهو ما وضعه عيسى بن عمر المتوفى في سنة ١٤٩هـ ، فإنهم يروون أنه وضع كتابين هما الإكمال والجامع .

وأول كتاب شامل في النحو للمتقدمين وصل إلينا هو كتاب سي بويه المتوفى في سنة ١٨٠هـ ، وآخر كتاب شامل لهم بعده وصل إلينا هو كتاب المفصل للزمخشري المتوفى في سنة ٥٣٨هـ الذي يعد آخر المتقدمين .

وبين عصري هذين الكتابين أكثر من ثلاثة قرون ظهر فيها كثير من المصنّفات النحوية لهؤلاء المتقدمين ، منها كتب كبيرة أو دون ذلك في الحو والصرف ، او رسائل صغيرة فيهما أو في بعض مباحثهما مثل : رسالة للكسائي المتوفى في سنة ١٨٩هـ في لحن العامة والمذكر والمؤنث للفرائ المتوفى في سنة ٢٠٧هـ وإصلاح المنطق لابن السكّيت المتوفى في سنة ٢٤٣هـ ، وكتاب المقتضب للمبرد المتوفى في سنة ٢٨٥هـ ، والشواذ لثعلب المتوفى في سنة ٢٩١هـ ، وكتاب الأصول لابن السراج المتوفى في سنة ٣١٦هـ ، والمقصود والممدود لابن ولّاد المتوفى في سنة ٣٣٢هـ ، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي المتوفى في سنة ٣٩٠هـ ، وملحة الإعراب للحري المتوفى في سنة ٥١٦هـ .

ومنها كتب جاءت البحوث النحوية والصرفية في ثناياها أو في بعض فصولها مثل : كتاب الكامل للمبرد ، وكتاب الأمالي للزجاجي المتوفى في سنة ٣٣٧هـ ،

وكتاب الخصائص لابن جني المتوفى في سنة ٣٩٢هـ ، وكتاب سر الصناعة له ايضا ، وغير ذلك .

ويجئ بعد مفصل الزمخشري كتب المحدثين كابن الحاجب المتوفى في سنة ٦٤٦هـ . وهي : الكافية في النحو ، والشافية في الصرف ، ثم يجئ الألفيات وهي : ألفية ابن معطي المتوفى في سنة ٦٢٨هـ ، ثم ألفية ابن مالك المتوفى في سنة ٧٦١هـ ، والأخيرة هي محور الدرس والتحصيل في وقتنا الحاضر ، ثم تاتي كتب أخرى تجمع شمل القواعد النحوية في أساليب مختلفة مثل كتب ابن هشام الأنصاري المتوفى في سنة ٧٦١هـ ، وجلال الدين السيوطي المتوفى في سنة ٩١١هـ.^{١٦}

وفي المشهور مما هو بين أيدينا من هذه المؤلفات صور لتدرج التأليف في علم النحو ، و هي : كتاب السيوية، كتاب المفصل للزمخشري، شرحا الرضي الاسترابادي على كافية ابن الحاجب في النحو و على شافيته في الصرف، منكتب ابن مالك، شرح ابن الناظم، من كتب ابن هاشم الانصاري، شرح ابن عقيل لألفية ، همع الهوامع على جمع الجوامع للسيوطي، شرح الأشموني للألفية ، حاشية الصبان.

ص. النحو في أندونيسيا

إندونيسيا هي دولة ديموقراطية و أكثر سكانها مسلمون فلذلك هم يتعلمون اللغة العربية ليسهل لهم فهم مصادر الاسلام الاساسية وهي القران و سنة النبي محمد (ص) أي الحديث النبوي. و كذلك لفهم العلوم الدينية كالفقه و التفسير و الفرائض وغير ذلك، و الهدف الآخر لتعلم اللغة العربية هي للعبادة و للمواصلة و المكاملة عند مواجهة العرب. بانتشار و اتساع الاسلام في إندونيسيا تجبر المسلمين على تعلم اللغة العربية و منها تعلم علم النحو، ولكن تعلم و تعليم النحو في معظم المدارس و المعاهد لا تشرح عن تاريخ علم النحو و أصوله ككتاب سر صناعة الاعراب تأليف ابن جني و المظهر تأليف جلال الدين السيوطي و هي غير مشهورة ولا تجذب الرغبة في التعلم لأن الهدف من تعلم النحو

^{١٦} عبد الكريم محمد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، ط الاولى (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢ م) ص ٢٤٧-٢٤٨

هو أداة لفهم اللغة العربية فلذلك تستخدم الكتب النحوية التي توجه إلى القواعد النحوية و الاعراب كالجرومية و ألفية ابن مالك.

من العلماء و فقهاء الدين الذين يتفقهون في علم النحو هم الشيخ النووي البتاني و أبويا حمكا و البروفيسور محمود يونس و بصري مصطفى و لقد ترجموا و ألفوا أكثر من كتاب. و من الكتب المستخدمة في المدارس و المعاهد الاسلامية في إندونيسيا هي: قواعد الاعراب و النحو الواضح و الإمري و الجرومية و ألفية ابن مالك.

ق. الخلاصة

ما مضى لك بيان من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ العربية و تيسير تعلمها للأعاجم، فشرعوا يتكلمون في الاعراب و قواعده حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن.

و سبب نشأة علم النحو هو إنتشار اللحن و الخطاء و مجانبة الصواب في نطق عامة و نطق القرآن الكريم خاصة، و قراءاته، و خاصة بعد دخول غير العرب في الاسلام و رغبتهم في تعلم اللغة العربية لتأدية الصلاة و قراءة القرآن.

و الذي تجمع عليه المصادر أن النحو نشأ بالبصرة، و بما نما واتسع و تكامل و تفلسف، و أن رؤوسه بنزعتيه السماعية و القياسية كلهم بصريون. و أول من أرسل في النحو كلاما أبو الأسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٧ هـ.^{١٧}

و سبب تسميته بالنحو - كما ذكرنا - أن أبا السود بعد أن وضع شيئاً في النحو عاد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأقره عليه و قال: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوته فأثر العلماء تسميته بهذه الكلمة المروية عن الإمام علي. و النحو: القصد، يقال نحوت نحوه أي قصدت قصده وهو الطريق و الجهة فالتكلم به إنما يقصد الكلام الصحيح و يسير في الطريق السليم.

^{١٧} سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ط الثانية، (بيروت: دار الفكر ١٩٧٨ م) ص ٢٦-٢٧

و اختلف العلماء في أول ما وضع من أبواب النحو على رأيين وهما: ذهب الجمهور إلى أن ما وضع من أبوابه هو ما وقع الحن فيه، ثم استمرّ الوضع بعد ذلك علي النمط نفسه. وذهب بعض العلماء إلى أنّ أول ما وضع من أبواب النحو ما كثر دور انه على اللسان، وذلك على الرغم من أنّ الفكر و الاستنباط كانا متّجهين انذاك إلى إستخراج القواعد من الكلام لداعي اللحن على وجه العموم بصرف النظر عن قرب ذلك أو بعده من الجاري بكثرة على الألسنة، وبهذا يكون الموضوع أولاً من أبواب النحو ما كثر جريان اللسان به ثم ما يليه وهكذا، ولذا قالوا إنّ الموضوع أولاً الفا عل ثم المفعول به ثم المبتدأ و الخبر وهكذا.

و الفروق بين المذهبين البصري و الكوفي من ناحيتين وهما السماع و القياس. المذهب البغدادي يأتي بعد المذهبين البصري و الكوفي و استمر لمدة ثلاثة قرون و نصف و تنقسم إلى عصرين و هي عصر البغداديين المتقدمين و عصر البغداديين المتأخرين. و أما مذهب الأندلسي عاش لمدة أربعة قرون و قسمت إلى ثلاثة أطوار. و يختلف المذهب المصري الذي تفاوتت وقتاً طويلاً و قسمت إلى ثلاثة عصور.

ر . . المراجع

ابن جني، الخصائص، (بيروت لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م).
السيد أحمد الهاشيمي، القواعد الاساسية للغة العربية، (صيدا لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨ م)
عبد الكريم مُجّد الاسعد، الوسيط في تاريخ النحو، (الرياض: دار الشواف ١٩٩٢م).
علي مُجّد فاخر، تاريخ النحو العربي منذ نشأته حتى الان، (القاهرة: جامعة الازهر، ٢٠٠٣م)

مُجّد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٥م)
مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، (لبنان : المكتبة العصرية، ٢٠١٢م).